

قبل كل شيء يجب تحديد التسميات، فعلى سبيل المثال، سمي نظام صدام حسين نفسه عملية إبادة الأكراد عام 1988 بـ "حملات الأنفال" وهذه الجريمة وصفتها معظم منظمات حقوق الإنسان بجريمة الإبادة الجماعية. والحقيقة وكما كشفتها وثائق رسمية لنظام البعث بعد هزيمته في الكويت عام 1991، والتي استولى عليها المنتفضون الكورد خلال الإنتفاضة في شهر آذار 1991، تبين مخطط النظام المبني على ثمان مراحل متداخلة ومتلاحقة، خطط لها بدقة في أعلى دوائر صنع القرار في النظام البعثي. والحملة كلها، بما فيها الاستعدادات، بدأت من 23 حزيران 1987 حتى خريف 1988. ويفيد المقرر الخاص السيد ماكس فان دير ستويل في تقريره عن حالة حقوق الإنسان في العراق في الدورة التاسعة والأربعون المؤرخ في 19 شباط 1993 مايلي:

"كانت حملة الأنفال جيدة التخطيط والتنظيم والتوثيق الى حد بعيد"

أما فيما يخص إبادة البارزانيين فإن نظام صدام حسين لم يطلق عليها رسمياً أي تسمية، إنما حاول إبقاء العملية سراً، وقد صدرت تعليمات رسمية بعدم الكلام عنها.

وليس من شك أن ما حصل للبارزانيين جاء عقب هزيمة الجيش العراقي في حاج عمران واحتلال الجيش الإيراني للقصبة المذكورة بحملة مشتركة ساهم فيها ولدي ملا مصطفى (مسعود وإديس) بقواتهما الى جنب الپاسداران في تموز/يوليه 1983.

وحسب ما جاء في نص خطاب صدام حسين والذي أعلن فيه مقتل هؤلاء، قال بوضوح في معرض تبريره لجريمته:

"فيبدو ان ابناء مصطفى البرزاني اوغلوا في الخيانة الى حد عدم القدرة على التراجع ونقلوا هذه الخيانة الى اوسع من حدود العائلة المباشرة حتى ارتكبوا هذه الجريمة بأن يكونوا عون جيش الفرس وادلائهم لاحتلال ارض العراق وبذلك حصل الفراق النهائي بيننا وبينهم بل وأكثر من هذا اذ انهم حاولوا ان يجرؤوا حواراً من أجل العودة الى الصف الوطني... وان تجري مكاتبات بالرسائل والصلة عن طريق المبعوثين لكي ينفذوا خياناتهم الدنيئة فخانوا مرتين... خانوا الوطن وخانوا العهد وتواطأ معهم بعض من سمو بالبرزانيين وقد نالوا عقابهم الصارم وذهبوا الى الجحيم."

طبيعي اننا نجهل ما كان يدور وراء الكواليس من حوار بين ولدي ملا مصطفى ونظام البعث ولانعلم طبيعة "العهد" الذي ذكره صدام حسين من أن ولدي ملا مصطفى أعطوا عهداً كما ورد بوضوح في خطابه المتلفز والمكتوب في الجريدة الرسمية، في معرض تبرير جريمته.

لقد كانت إبادة البارزانيين عام 1983 عبارة عن نوبة هستيرية وردّ فعل تجاه الإنتصار الإيراني في حاج عمران صيف عام 1983، وصدر أمر تنفيذ هذه الجريمة من صدام حسين نفسه. أي إنه لم يكن مخططاً قبل هزيمة الجيش العراقي في حاج عمران. وكان يجري في الخفاء وربما بدون علم الإيرانيين حوار بين ولدي ملا مصطفى ونظام البعث، فقد كان وضعهم سيئاً للغاية في إيران، وكانوا متهمين من قبل النظام الإسلامي بمناصرة الشاه والعمالة له وبناء علاقات مع إسرائيل، وفي الواقع كانوا يتوقون الى الخروج من تحت النفوذ الإيراني. وربما كان هناك حسب قول صدام حسين "حوار للعودة الى الصف الوطني"، لكن الحملة المشتركة على حاج عمران أفستت فرص نجاح الحوار ومخطط العودة. فإنتقم طاغية العراق من العزل من البارزانيين بجبن وندالة.

لقد أسبغت كلمة "أنفال" على عملية قوشتبه، وهذا إجحاف بحق أحداث التاريخ وبحق الضحايا من البارزانيين وذويهم الأحياء، ساهمت في صنعها أجهزة الإعلام الحزبية الكوردية بشكل مدروس على أكثر تقدير، لكي تصبح قضية إبادة البارزانيين في غير محلها الطبيعي. وكان لهذا أثر في مجريات المحاكمات لأقطاب النظام البعثي بعد زوال نظامهم على يد قوات التحالف، وبقيت أسرار كثيرة طي الكتمان لم تتناولها المحاكم للأسف الشديد.

إن جريمة الإبادة الجماعية في قوشتبه تخفى الكثير من الأسرار، ولو أزيح عنها الستار بالتفصيل، لأثر ذلك في تخفيف حالة الصدمة النفسية الهائلة التي يعاني من آلامها كل بارزاني وبارزانية وكل كوردي شريف الى يومنا هذا.

